

التفسير المطول - سورة النجم ٥٣ - الدرس (٢-٩): تفسير الآيات ٥-١٨
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٩-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.
أيها الإخوة المؤمنون: مع الدرس الثاني من سورة النجم، ومع الآية الخامسة:

الأمية في حق النبي الكريم كمال له:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)﴾

(سورة النجم)

أي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمي، والأمية في حقه كمال، وفي حقنا نقص، أمي حُجِرَ عن ثقافة عصره، لم يطلع على ثقافة عصره؛ كانت هناك ثقافة إغريقية، وثقافة يونانية، حُجِبَ عن ثقافة عصره كي يكون كلامه كله وحياً من الله عزَّ وجل، لو أن النبي عليه الصلاة والسلام لو اطلع على ثقافة عصره، وتكلم بعد نزول الوحي لكان هناك سؤالٌ يلقي عليه كل دقيقة: هل هذا الكلام من ثقافتك أم من وحي السماء؟ فالكمال في حقه صلى الله عليه وسلم أن يحجز عن ثقافة عصره فجعله الله أمياً..

﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾

(سورة الشورى: آية " ٥٢ ")

تعلم النبي الكريم عن طريق جبريل الذي علمه الله:

الآية الكريمة: ما الذي حل محل أميته؟ أن الله جلَّ جلاله عن طريق جبريل علمه.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾

المفسرون على مذاهب في تفسير هذه الآية، بعضهم قال: علمه جبريل، ومن علم جبريل؟ الله جلَّ جلاله، وبعضهم قال: علمه الله جلَّ جلاله.

﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾

عند بعض المفسرين الله جلّ جلاله، وعند جمهور المفسرين جبريل عليه السلام، لكنّ الله علّمه عن طريق جبريل، بهذا الكلام نجمع بين التفاسير كلها.

العلم الذي تعلمه النبي الكريم علم محكم لا خلل فيه:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦)﴾
﴿ذُو مِرَّةٍ﴾

أي ذو إحكام، أي أنّ العلم الذي تعلمه النبي صلى الله عليه وسلم علمٌ مُحْكَمٌ، العلم المحكم لا خلل فيه، لا تناقض، لا اضطراب، لا ضعف، لا ضعف في المعالجة، لا ضعف في التفسير، لا ضعف في التأويل، علمٌ محكمٌ، مكينٌ، قويٌّ، متماسكٌ، معللٌ بالدليل، مؤيدٌ بالواقع.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦)﴾

الحبل يُفْتَلُ، ويفتل، ويفتل حتى لا يمكن فكّه، نقول: هذا الحبل ذو مرة، هنا استعير هذا التعبير للتأكيد على أن العلم الذي تعلمه النبي صلى الله عليه وسلم علمٌ متين، علمٌ محكم، علم ينطبق على الواقع والظاهرة والحقيقة مئة بالمئة، علمٌ هو في الحقيقة وحْيٌ من السماء، فلو جمعت كل معلمي الأرض لقصروا عن الغاية، فالله جلّ جلاله هو الذي علّم النبي صلى الله عليه وسلم.

علم رسول الله ما هو إلا وحْيٌ من السماء:

الإنسان أحياناً يتباهى بأستاذه، يقول لك: أنا خريجٌ بالجامعة الفلانية، وقد علمنا البروفسور فلان، نوع من التباهي، يتباهى الإنسان بجامعته وبأستاذه، فإذا حُقَّ للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتباهى بعلمه، فهو يتباهى بأن الله جلّ جلاله هو الذي علمه، لذلك علمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحْيٌ من السماء.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦)﴾

وبينت لكم قبل قليل أن رأي بعض المفسرين أنّ الذي علّمه هو الله جلّ جلاله، وأن بعضهم الآخر بل وجمهورهم على أنّ الذي علّمه هو جبريل عليه السلام، والقضية تحصيل حاصل، علمه الله عن طريق جبريل، أو أنّ الله جلّ جلاله علّم جبريل، وجبريل علّم النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦)﴾

الفرق بين التشريع الإلهي و التشريع الأرضي:

لذلك الشرع الإسلامي أساسه وحْيٌ، والوحي أساسه من عند الله عزّ وجل، من عند الخالق، فينبغي أن نعلم علم اليقين أن هناك فرقاً نوعياً بين كل تشريعات الأرض وبين تشريع الله عزّ وجل، هذا شرع الخالق، وذاك شرع المخلوق، فمن الممكن أن نُصدر قراراً نقول فيه: لأية امرأةٍ مطلقة الحق في

نصف أملاك زوجها، فما الذي يحصل ؟ يعزف الرجال عن الزواج كلياً، يعيش معها وينجب من غير زواج، هذا الشرط يستعصي تطبيقه، ففي بعض البلاد العربية التي أرادت أن تقلد الغرب في الأحوال الشخصية أيضاً ألزمت الزوج إذا طلق زوجته أن يعطيها نصف ممتلكاته كلها، فما الذي حصل ؟ أن الآباء يقدمون لخاطبي فتياتهم سندات أمانة بأرقام فلكية، يقولون: ثبرؤها إذا طالبناك بنصف أملاكك، لأن سوق الزواج بارت.

في الصين أرادوا أن يلزموا كل أسرة بمولود واحد، فما الذي حصل ؟ صارت الأسرة الصينية إن أنجبت بنتاً خنقتها، إلى أن تنجب المولود الذكر فتسجله، ولا زالوا كذلك حتى نشأت عصابات لخطف الفتيات اللاتي في سن الزواج، والآن يقدر في عام ألفين أن هناك خمسين مليون صيني من غير امرأة، هذا تشريع الأرض، فينبغي أن نميز بين التشريع الإلهي الذي هو من عند الخبير، الذي خلق الإنسان، وبين التشريع الأرضي الذي هو من الإنسان الذي لا يعلم، وإذا علم يحابي نفسه.

الإنسان مهما علا ليس مؤهلاً أن يشرع:

الإنسان أي إنسان مهما علا ليس مؤهلاً أن يشرع، لأنه لا يخلو من جهل، أو من محدودية، أو من هوى، الذي يرضيه في تشريعه جهله أو هواه، وكلاهما يجعلان التشريع تشريعاً غير محكم، وغير واقعي، وغير منصف.

فأنتم إذا قرأتم القرآن، وإذا قرأتم سنة النبي العدنان، فأنتم مع وحي السماء، أنتم مع تشريع الخالق، أنتم مع المطلق، فالقرآن الكريم كلام الله، صحته مطلقة، ثبوته مطلق، خيريته مطلقة، عدالته مطلقة، رحمته مطلقة، لذلك قال بعض العلماء: " الشريعة عدلٌ كلها، رحمةٌ كلها، مصلحةٌ كلها، وأية قضية خرجت من المصلحة إلى المفسدة، ومن العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى القسوة فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها ألف تأويل وتأويل ".

أنتم إذا قرأتم القرآن أو قرأتم سنة النبي عليه الصلاة والسلام فأنتم مع وحي السماء، أنتم مع كلام الخبير، لذلك لا يمكن أن تطيع الله في منهجه، وفي قرآنه، وفي سنة نبيه وتشعر بالندم، تقطف الثمار يانعة، ثمار نفسية، اجتماعية، روحية، أخلاقية، صحية، جسمية، مالية:

((استقيموا ولن تحصوا))

(أخرجه ابن ماجه عن ثوبان)

كلام خالق الكون لا يأتيه الباطل أبداً:

فبالقريب أنت مع تعليمات الصانع، فإذا طبقت تعليمات الصانع عند صيانة آلة وتشغيلها قطفت الثمار يانعة، وأخذت منها أعلى مردود بأقل كلفة، فالإنسان إذا انطلق من حبه لذاته، من حرصه على سلامته، وسلامة وجوده، ينبغي أن يطيع الله عز وجل، كلمة:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾

أنت إذا قرأت حديثاً شريفاً صحيحاً، أو قرأت آيةً وتفسيرها وفهمت مدلولاتها، فأنت مع المعلم الأول، أنت مع الخالق، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

(سورة الأحزاب)

الفوز كل الفوز، والنجاح كل النجاح، والفلاح كل الفلاح، والتفوق كل التفوق في طاعة الله عز وجل، أنت بمكتبة فيها ألف كتاب، فيها خمسة آلاف كتاب، فيها مليون كتاب، ينبغي أن تضع القرآن في كفة، هذا كلام خالق الكون الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكل الكتب الأخرى هي كتب من تأليف بشر، والبشر يصيبون ويخطئون.

السنة وحي إلهي:

ما من كتاب ألف إلا وظهر فيه خللٌ بعد حين، هذا شيء ثابت، أما كتاب الله عز وجل فقد مضى على نزوله ألف وخمسمئة عام، وليس في العالم كله حقيقة تصدم آياته أبداً، لأنه كتاب خالق الكون، لذلك إذا اتبعت السنة، فقد اتبعت وحي السماء، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ))

(أخرجه أبو داود عن المقدم بن معدي كرب)

هي السنة.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

(سورة البقرة: آية " ١٢٩ ")

و من هنا قال العلماء: كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذه القبة الخضراء، كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه، أمة محمد صلى الله عليه وسلم معصومةً بمجموعها، لكن النبي صلى الله عليه وسلم معصومٌ بمفرده، كلمة (وحي) كلمة كبيرة جداً، خالق الكون يوحى إلى رسول الله، ونحن نأخذ هذا الوحي عن رسول الله.

أوامر خالق الكون على كل إنسان أن يتبعها:

لو فرضنا: عندك جهاز بالغ التعقيد، جهاز حاسوب من أعلى مستوى، وإلى جانب بيتك عشرون محلاً تجارياً، بائع خضار، بائع أقمشة... إلخ، كل هؤلاء على أخلاقهم الرضية ليسوا مؤهلين أن يصنوا لك هذا الجهاز، إلا أن يأتي مندوب الشركة، فهو الخبير، لذلك قال تعالى:

﴿وَلَا يَنْبُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

(سورة فاطر)

فأنت مع شيء نوعي، أنت إذا قرأت القرآن ورأيت فيه توجيهاً، أو حكماً، أو أمراً، أو نهياً، أمراً بغض البصر، أمراً بأداء الأمانة، أمراً بالتوكل على الله، أمراً بالنظافة، هذه أوامر خالق الكون.

تعليم الله عز وجل الرسول الكريم عن طريق جبريل:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦)﴾

الآن إذا فسرنا أن الذي علّمه شديد القوى هو الله عز وجل، فاستوى بمعنى استوى على العرش، والاستواء معلوم والكيف مجهول، أما إذا فسرنا أن الذي علّمه شديد القوى هو جبريل عليه السلام.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾

أي أنّه ذو علمٍ محكم، ذو علمٍ متين.

﴿فَاسْتَوَىٰ﴾

في الأفق، فحينما كان النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء رأى جبريل عليه السلام فيما ترويه الروايات الصحيحة، رآه وقد سدّ الأفق كله، رآه على الصورة التي صوره الله بها، ملأ الأفق كله شرقه وغربه.

اقترب جبريل من النبي الكريم في البداية بصورته الحقيقية:

﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾

جبريل عليه السلام، بصورته الحقيقية التي تملأ أفق السماء شرقاً وغرباً، ثم دنا من محمد عليه السلام شيئاً فشيئاً فشيئاً ثم تدلى له، حتى كان على شكل دحية الكلبي وهو من أحب الناس إلى النبي عليه والصلاة والسلام ومن أجملهم صورة.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾

أو ثم تدلى فدنا، كلاهما بمعنى واحد، تدلى أي نزل إليه شيئاً فشيئاً، واقترب منه شيئاً فشيئاً، ثم أصبح بصورة إنسانٍ من بني البشر محببٍ إلى النبي عليه الصلاة والسلام جميل الصورة اسمه دحية الكلبي.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩)﴾

العرب كانوا إذا اصطلحوا بعد نزاع و خصومة يجعلون القوسين قوساً واحداً ويرمون بهما معاً رمياً واحداً، فالقوسان هنا تلامسا، حتى اتحدا وصارا شيئاً واحداً.

نزول جبريل بصورة دحية الكلبي كان بداية الوحي:

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾

أي أنه نزل من السماء، تدلّى من السماء، واقترب شيئاً فشيئاً، إلى أن أصبح قريباً من النبي كقرب القوس من القوس، و أصبحت صورته صورة دحية الكلبي أحب الناس إلى رسول الله وأجملهم صورة.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾

عندئذٍ

﴿فَأَوْحَى﴾

جبريل..

﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾

محمدٍ صلى الله عليه وسلم..

﴿مَا أَوْحَى﴾

قال له: اقرأ، قال له: لست بقارئ، قال له: اقرأ قال: لست بقارئ، قال:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (۱) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (۲)﴾

(سورة العلق)

كأن هذه الآيات ترينا بداية الوحي، أي أن هذا القرآن من وحي السماء، من عند خالق الأكوان، من عند مدبّر الأرض والسموات.

آفاق الأنبياء مقدسة و هدفها إسعاد البشر:

أما إذا فسّرنا أن الذي علمه شديد القوى هو الله جلّ جلاله.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾

ذو قوةٍ وعلمٍ، فاستوى على العرش، وهو بالأفق الأعلى، عندئذٍ نفس (هو) بأنّها تعود على النبي صلى الله عليه وسلم، هو في أعلى الآفاق، كل إنسان له أفق، إنسان يعيش في الوحول، إنسان يعيش مع القاذورات، إنسان يعيش مع سفاسف الأمور، إنسان يعيش مع الملهيات، إنسان يعيش مع الجنس، إنسان يعيش مع المال، إنسان يعيش مع المباهج المادية التي لا تبقى ولا تستمر، وإنسان يعيش مع المبادئ، يعيش مع الخلق، يعيش مع القيم، فهناك إنسان هدفه إمتاع جسمه، وهناك إنسان هدفه إسعاد الخلق، إذاً آفاق، الأنبياء لهم آفاق خاصة، آفاقهم مقدسة، آفاقهم علوية، آفاقهم هداية البشرية.

سؤال كل إنسان نفسه في أي أفق هو ؟

كل إنسان منا له أفق، فلان أفقه لا يتمنى على الله إلا أن يتزوج فقط، فإذا تزوج وصل إلى كل أهدافه، وإنسان آخر هدفه أكبر من الزواج، يتمنى على الله أن يصل إليه، أن يتعرف إليه، أن يكون

جندياً للحق، أن يكون في خدمة الخلق، يتمنى على الله أن يكون داعيةً إلى الله، هادياً مهدياً، يتمنى على الله أن يقدّر على يديه كل خير، فلذلك كل إنسان له أفق، فالسؤال الآن: أنت في أي أفق؟ فالإنسان حينما يصحو صباحاً على أي شيء يصحو؟ من أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه، وشتت عليه شمله، ولم يؤته من الدنيا إلا ما قُدّر له، ومن أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله وأنته الدنيا وهي راغمة.

لذلك فعلى الإنسان أن يتأمل، في أي أفق يعيش، يعيش في أفق إصلاح ذات البين، يعيش في أفق معرفة الله، يعيش في العمل الصالح، يعيش في فهم كتاب الله، يعيش في فهم حديث رسول الله، يعيش في فهم سيرة رسول الله، يعيش ليعلم الخلق، يعيش ليهدي الخلق إلى الله عز وجل، هذا أفق، وهناك إنسان آخر يعيش ليأكل، يعيش ليتزوج، يعيش ليشتري بيتاً، يعيش ليستمتع بالحياة، يعيش ليسافر، فكل إنسان له أفق، وهناك من الناس من يعيش ليؤذي الناس، ليأكل أموالهم بالباطل، ليقوع فيهم الرعب، يعيش ليتلذذ بايقاع الأذى بآخرين، هذا مستوى أيضاً، هذا المستوى تحت الأرض.

اقترب الإنسان من الله بالعمل الصالح:

﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾

فالنبي عليه الصلاة والسلام استحق أن يوحي الله إليه، وأن يعلمه العلم المتين، لأنه بالأفق الأعلى، ثم إذا فسرنا أن الذي علمه هو الله عز وجل، وهو الذي استوى على العرش، وأن النبي صلى الله عليه وسلم بالأفق الأعلى.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾

ثم دنا النبي من الله عز وجل، والإنسان يدنو من الله دنواً حكماً، العمل الصالح يقربك من الله، أنت في بيتك، وفي غرفة نومك، وفي غرفة جلوسك، وفي مكتبك، وفي معملك، وفي متجرك، وفي الطريق، العمل الصالح يجعلك أقرب إلى الله من أي وقتٍ آخر، فكلما عملت عملاً صالحاً اقتربت من الله، فلذلك:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾

(سورة الكهف: آية " ١١٠ ")

النبي الكريم بالأفق الأعلى لأن همه هداية الخلق:

العمل الصالح يرفع الإنسان، فالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه بالأفق الأعلى، لأن همومه مقدسة، همومه تزيد عن حاجاته، فالإنسان قد تكون همومه مطابقة لحاجاته، فإذا حُققت حاجاته انتهت همومه، أما الأنبياء والمرسلون، همومهم تفوق كل حاجاتهم، تفوق كل متطلباتهم، همومهم هداية الخلق، لذلك:

((لو تعلمون ما أعلم ولضحكتكم قليلاً ولبكيتم كثيراً))

(أخرجه مسلم عن أنس بن مالك)

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث:

((الحرزاني في كنف الله))

(ورد في الأثر)

((إن الله يحب كل قلبٍ حزي))

(حديث صحيح عن أبي الدرداء)

أي حزنٍ هذا؟ الحزن المقدس، تنظر إلى الناس تراهم ضائعين، تائهين، شاردين، بيوتهم جحيم، أعمالهم ربوية، مالهم حرام، ملاهيهم تجعلهم في الوحول، هذا الذي يسهر إلى الفجر ويتابع مشاهدة أجهزة اللهو الفضائية، في أي مكان هو؟ في قنوات المجاري لا في قنوات الفضاء، في أي مستوى يعيش؟ هذا الذي يطلق امرأته بعد ثلاثين عاماً لأنها لا تروق له بالموازنة مع ما يراه في هذه المحطات الفضائية، أي إنسانٍ هذا؟ في أي دركٍ يعيش؟ في أي قنوات المجاري يعيش؟ أما رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفه ربُّه:

﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾

معنى آخر.

نزول الوحي عن طريق جبريل عليه السلام:

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١)﴾

فلكم أن تفهموا هذه الآيات على نحوين، إن فهمناها مع جمهور العلماء على أنه جبريل عليه السلام.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى (٧)﴾

ملاً الأفق.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩)﴾

فأصبح في صورةٍ بحية الكلي.

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾

وقد نفهمها فهماً آخر: علمه الله جلّ جلاله، وهذا قول الإمام الحسن، علمه الله جلّ جلاله..

اجتماع العلم و القوة في الخالق سبحانه:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ﴾

أي قوة وعلم، قد تجد العلم ولا تجد القوة، العلم يصغر في نظرك، وقد تجد القوة ولا تجد العلم فالقوة تصغر في نظرك، إنسان قوي بكل معاني القوة لكنه جاهل، وإنسان عالم ولكنه ضعيف، أما أن يجتمع العلم والقوة شيءٌ مدهش، إنهما تجتمعان في الله عزَّ وجل، قويٌّ ولا حد لقوته، عليمٌ ولا حد لعلمه، يعني قوته متعلقةٌ بكل ممكن وعلمه متعلقٌ بكل ممكن، قوته مطلقة وعلمه مطلق.

استواء المعاني المقدسة في صدر النبي الكريم:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦)﴾

استوى على العرش، وقال بعض المفسرين: استوى القرآن في صدره، استوت هذه المعاني المقدسة في صدر النبي عليه الصلاة والسلام، أو استوت في صدر جبريل.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾

لماذا علّمه ؟ لأنه بالأفق الأعلى، قد يرى أبٌ من ابنه تفتحاً وتطلعاً إلى العلم، ونهماً له، ورغبةً فيه، فعندئذٍ يضع الأب كل إمكاناته من أجل أن يصل ابنه إلى ما يصبو إليه، هذا إن رأى منه تفتحاً، وتشوقاً، وتلهفاً، وتعلقاً، والمعية، ورغبةً صادقةً ملحّةً، عندئذٍ يقدم له كل ما يملك من أجل أن يتعلم.

اقتراب الإنسان من الله إذا كان بالأفق الأعلى:

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨)﴾

إذاً: هنا لدينا معنى آخر: ندنو من الله إذا كنت بالأفق الأعلى، وتبتعد عنه إذا كنت بالأفق الأدنى، إذا كنت في الأرض، الأرض تمثل الشهوات..

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾

(سورة الأعراف: آية " ١٧٦ ")

و السماء تمثل المكرمات..

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ

الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١)﴾

هناك تطابق بين رؤية القلب ورؤية العين.

مطابقة رؤية قلب النبي لرؤية عينه:

أحياناً ترى بعينك شيئاً لا تصدقه، فالقلب ينكر عليك ذلك، بعض السحرة المهرة، ترى عندهم شيئاً بعينك لكن قلبك لا يصدقه، أمّا هنا.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾

رأى بعينه ورأى بقلبه، فجاءت رؤية قلبه مطابقةً لرؤية عينه.

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفْتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى (١٢) ﴾

وهذه مشكلة كل مؤمنٍ في آخر الزمان، يرى أن الله هو كل شيء، يرى أن الدين هو كل شيء، يرى أن طاعة الله هي كل شيء، يرى أن المعصية هلاك، يرى أن الانحراف عن الطريق الصحيح شقاء، يرى أن الكسب الحرام متلفاً للمال، يرى أن أشقى الأشقياء من عصى رب الأرباب، هذه رؤيته، وحوله أناسٌ يرون غير هذه الرؤية، يرون الدنيا كل شيء، المال كل شيء، الشهوات هي كل شيء.

العبرة في النهاية نجاة الإنسان من عذاب الله الأبدي:

دائماً يوجد مشادة بين أهل الإيمان وبين أهل الإعراض، أنت إما أن تقبل وإما أن تعرض، إما أن تستقيم وإما أن تتحرف، إما أن تُخلص وإما أن تخون، إما أن ترقى وإما أن تسفل، إما أن تتصف وإما أن تجحد، فلذلك:

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفْتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى (١٢) ﴾

هو يرى، لذلك قال سبحانه:

﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ (٢) ﴾

(سورة القلم)

أنت لست مجنوناً، أنت عاقل، والحقيقة أنّ العبرة في النهاية، العبرة في العاقبة، العبرة من يضحك أخيراً، العبرة حينما يأتي الموت ويرى المؤمن أنه قد نجا من عذابٍ أبدي، عندئذٍ يصيح ويقول: لم أرَ شراً قط.

لقاء الله عز وجل أسعد لحظات المؤمن:

إخوانا الكرام: ورد في الأحاديث:

((تحفة المؤمن الموت))

(أخرجه الطبراني، وأبو نعيم، والحاكم، والبيهقي، عن ابن عمر)

أن الموت عرس المؤمن، وأن المؤمن أسعد لحظات حياته حينما يلقي الله عز وجل، لماذا؟ لأنه لا يعرف حقيقة فوزه وحقيقة نجاحه إلا عندما يرى مقامه في الجنة، هو في الدنيا مع الناس، قد لا يتميز عنهم كثيراً، يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون، وكما يلعبون، وكما ينتزهون، ويتزوجون، ويطلقون، ويتاجرون، ويكسبون المال وهو واحدٌ منهم في هذا، لكن المؤمن ينفرد من بين هؤلاء بطاعة الله، وابتغاء مرضاته، فإذا جاء الموت فرز الناس، طبعاً..

﴿وَأَمَّا زُوا الْيَوْمِ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾

(سورة يس)

ابتعدوا عنهم، حقيقة الفوز لا يعلمها الإنسان إلا حينما يلقى الواحد الديان.

رؤية النبي الكريم لجبريل عليه السلام مرة أخرى في رحلة المعراج:

﴿ أَفْتَمَّارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) ﴾

النبي عليه الصلاة والسلام رأى جبريل مرة أخرى..

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾

حينما كان في رحلة المعراج، وحينما وصل إلى درجة لم يصلها نبي قبله.

﴿سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾

في المعنى الدقيق أعلى مرتبة وصلها إنسان، حتى إن سدرة المنتهى في رأي بعض المفسرين هي المكان الذي وقف عنده جبريل ولم يستطع أن يجاوزه، وجاوزه النبي، لذلك نحن أتباع لسيد الأنبياء والمرسلين، لسيد ولد آدم ولا فخر، للإنسان الأول الذي أقسم الله بعمره الثمين، قال:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

(سورة الحجر)

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾

حقيقة الجنة القرب من الله عز وجل.

السلامة و السعادة مطلبان لكل إنسان لا يتحققان إلا بالقرب من الله:

إخوانا الكرام: حقيقة أقولها لكم متواضعة: إذا اعتقدت لثانية واحدة أن شيئاً في الأرض مهما كبر ومهما علا يمكن أن يسعدك فأنت جاهل، لا تسعد إلا بالله، فأى شيء في الأرض؛ سواء أكان المال الوفير، الصحة القوية، الجمال الفئان، المنصب الرفيع، القصر المنيف، المركبة الفارهة، العز التليد، إذا اعتقدت أن شيئاً في الأرض مهما علا يمكن أن يسعدك سعادةً متتاميةً فأنت واهم، لا تسعد إلا بالله.

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾

فهل هناك من إخواننا الحاضرين وغير الحاضرين، أو من بني البشر قاطبةً من بين خمسة آلاف مليون لا يتمنى السعادة والسلامة؟! هذا مطلبٌ ثابت، بل إن السعادة والسلامة مطلبان ثابتان لدى كل إنسان، هذان المطلبان لا يتحققان إلا بالقرب من الله عز وجل، والقرب من الله أساسه الاستقامة والعمل الصالح، والاستقامة والعمل الصالح أساسهما معرفة الله، لذلك حينما تبادر لتتعرف إلى الله تفعل أخطر عملٍ في حياتك، تفعل أجل عملٍ في حياتك.

الاستقامة و العمل الصالح أساسهما معرفة الله:

طالب المدرسة، أو الطالب الجامعي، ما هو أجل عمل في حياته؟ أن يحضر محاضرة الأستاذ، وأن يقرأ البحث، ويؤدي الامتحان، أما لون قميصه فليس له علاقة باختصاصه، مكان بيته، نوع الطعام الذي أكله، فهذه أشياء كلها ثانوية، الشيء الأساسي أن يحضر الدرس، وأن يستوعب، وأن يقرأ فيفهم، وأن يؤدي الامتحان فينجح، هذا أهم ما في الجامعة، وما سوى ذلك؛ كألوان الألبسة، وألوان الأطعمة، ومواقع البيوت، ونوع القلم، يا ترى قلم سيال، قلم حبر، قلم جاف، أشياء كلها لا تقدم ولا تؤخر، وفي التجارة أهم شيء الربح، فإن لم تريح فلست تاجرًا، الإنسان حينما يأتي إلى الدنيا أخطر شيء في حياته أن يعرف الله، لذلك: طلب العلم فريضة على كل مسلم، إن عرفته وعرفت أمره ونهيه، وطبقت أمره ونهيه، سعدت بقربه في الدنيا والآخرة، هذا ملخص الملخص.

رحمة الله محيطه بالنبى الكريم من كل جانب:

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦)﴾

النبى عليه الصلاة والسلام جاءه من الله عز وجل من الرحمات ما لا يوصف، الشيء العجيب أن هذا النبى الكريم لو أتيح لواحد منا (وهذا من الحلم) أن يلتقي به حينما كان حياً يجد ما لا يصدق فقلبه أنوار من الله، وتحوطه رحمات من الله، ولديه قوة تأثير، وسعادة لا توصف، كان أحد أصحابه سيدنا رببعة يخدمه، فإذا أذن له النبى أن ينصرف لا ينصرف، بل يبقى على عتبة البيت إلى صلاة الفجر، فبماذا يشعر؟ وهو ينام على عتبة البيت من الخارج بماذا يشعر؟ يشعر بشوق وحنين لا يوصف، وهذا أثر من آثار القرب من رسول الله، والقرب من الله، فإذا كان الإنسان قريباً من الله يستعد، فهو موصول بمصدر النور، بمصدر السكينة، بمصدر الطمأنينة، بمصدر الإشراق، بمصدر الكمال، تجد المؤمن الموصول كامل السعادة، عفيفاً، عفيف اللسان، عفيف اليد، حيباً، كريماً، شجاعاً، ذا مروءة، منصفاً، هذه الصفات الإنسانية العالية مع الوجهة الصادقة إلى الله، مع السكينة التي في قلب الإنسان، هذه تجذب الناس إليه، فمؤمن صغير صغير صغير في آخر الزمان إذا نظرت إليه ذكرت الله عز وجل، أولياء أمتي إذا رأوا ذكر الله بهم، إذا نظرت إليه ذكرت الله، إذا نظرت إليه اطمأن قلبك، ارتاح قلبك، اطمأنت نفسك، فما عند هذا المؤمن الصغير مما عند النبى الكريم عليه أتم الصلاة والتسليم!؟

تجلي الله على قلب المؤمن بالرحمة و المودة:

لذلك:

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦)﴾

تسميها رحمات، تسميها تجليات، تسميها قُرْبَات، تسميها سَكِينَة، تسميها حالاً، أنا لا أعرف، سمّها ما شئت، أما إذا عملت عملاً صالحاً اقتربت من الله، إن اقتربت منه تجلّى على قلبك، هذا الشهر يعرفه كل مؤمن، وبينما كان سيدنا الصديق يمشي في الطريق رأى صحابياً اسمه حنظلة، وندّعه يقصّ علينا خبره، فعن حنظلة الأسيديّ قال وكان من كتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الْقَيْنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ نَافِقَ حَنْظَلَةَ، قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافِقَ حَنْظَلَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تَذْكُرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدْوَمُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ؛ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))

(رواه مسلم عن حنظلة الأسيدي)

علامة إخلاص المؤمن ارتياد المساجد و هو في كامل فرحته:

إخوانا الكرام: علامة إخلاصك، وعلامة صدقك، وعلامة محبتك أنك إذا دخلت المسجد فأنت في الجنة، هذا بيت الله، وأنت في ضيافة الله، هذا بيت الله وأنت لم تأت إلى فلان أو علان، أبداً، أنت لم تأت إليه، أتيت إلى بيت الله عز وجل، والله هو الذي يكرمك، فإنسان ترك بيته، ترك المقعد الوثير، ترك الطعام الطيب، ترك الجلوس مع أهله وأولاده، وركب مركبة، هي أول مركبة، قد يكون ركب مركبتين إلى أن وصل إلى بيت الله، أفلا يجد شيئاً؟ فهل هذا معقول؟ ألا يجد شيئاً أبداً؟! هل تجد بيتاً تدخل إليه ولا يقدم لك فنجان قهوة، أو حتى سكرة، أو كأس ماء.

((إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوّارها هم عمارها، فطوبى لعبدٍ تطهر في بيته ثم زارني،

وَحُقَّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يَكْرَمَ الزَّائِرُ))

وأنت في بيت الله في ضيافة الله، أنت في رحمت الله، فلذلك قال حنظلة: "تكون مع رسول الله ونحن والجنة كهاتين.. فإذا عافسنا الأهل ننسي"، تأتي إلى البيت فلا نجد الأكل جاهزاً، غضب، وشطنا غضباً، راح الحال، أين هذا الحال؟ فسيدنا الصديق لطيف وأديب ومتواضع قال له: "أنا كذلك يا أخي، انطلق بنا إلى رسول الله". فحدثاه.. قال عليه الصلاة والسلام:

((الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم))

(أخرجه البخاري عن أنس بن مالك)

أساس الدين الإسلامي الصلة بالله عز وجل:

الأنبياء في اتصال مستمر، لكن المؤمنين على قدر إيمانهم يكون فتورهم، المؤمن لا يوجد عنده حال معصية وطاعة، انتبهوا، إياكم أن تفهموا هذا لا يوجد عنده طاعة ومعصية، عنده إقبال وفتور، كلما اتسع وقت إقباله ارتقت مرتبته، وكلما قلَّت مدَّة فتوره ارتقت مرتبته، أما إذا اتسع وقت فتوره وقلَّ وقت إقباله هبطت مرتبته، قال لهما:

" أما أنتم يا أخي فساعةٌ وساعة، لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة، ولزارتكم في بيوتكم "

فأنا من أنصار التعلم، من أنصار التفقه في الدين، لكن دين، علم، وفقه، من دون حال، من دون اتصال بالله عزَّ وجل، من دون ذكر، من دون أن يعمر القلب بذكر الله، يصبح الدين ثقافةً، والحركات التعبدية تصبح طقوساً، فلماذا يتراجع المسلمون ؟ لأنهم أفرغوه من مضمونه الأساسي، أساس الدين هذه الصلة بالله..

الصلاة هي أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة:

"لا خير في دينٍ لا صلاة فيه .." " الصلاة معراج المؤمن .." " الصلاة نور المؤمن .." " الصلاة تظهر .. الصلاة مناجاة .. الصلاة قُرب.

﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

(سورة العلق)

الصلاة ذكر..

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

(سورة طه)

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

(سورة العنكبوت: آية " ٤٥ ")

الدين كله صلاة، وأول ما يحاسب العبد يوم القيامة عن صلاته، فجوهر الدين هذا الاتصال، أما المعلومات مفيدة، لكنها ثقافة، والحركات والسكنات طقوس، أما إذا وجدت استقامة، وكان اتصال بالله عزَّ وجل، وصار عندك حال، وغمرتك سكينَةٌ وطمأنينةٌ فاض عندك نور يشع منك، وهذا يسمى قوة التأثير، لذلك: ما أخلص عبدٌ لله عزَّ وجل إلا وجعل قلوب المؤمنين تهفو إليه بالمودَّة والرحمة.

أساس الصلاة طاعة الله عز وجل:

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦)﴾

هذه العبارة عند البُلغَاء اسمها إيجازٌ غني.

﴿إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾

ما يغشاها من الرحمة، من العلم، من السكينة، من السعادة، من الرُّقْيِ، من السمو

﴿إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾

والإنسان عندما يكون له اتصال بالله عزَّ وجلَّ تشمله حالةٌ تجلُّ متنوع، فترى رؤيا صحيحة، وتجذب نفساً مطمئنة، وقلباً قوياً، حكمة، قدرة على اتخاذ قرار في الوقت المناسب، هذه الحكمة مع الرؤيا الصحيحة مع السكينة مع الطمأنينة هذه من آثار الصلاة، أساس الدين هو الصلاة، الصلاة أساسها طاعة الله عزَّ وجلَّ، والطاعة معرفة، معرفة طاعة صلاة سعادة.

الأدب و الثبات و قوة الشخصية صفات امتاز بها النبي الكريم:

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾

زاغ نظر يميناً أو يسرة، طغى نظر إلى ما لا يحق له أن ينظر، فكان في أعلى درجات الأدب والثبات، أحياناً الإنسان يجمع بين الأدب والثبات، بين قوة الشخصية والأدب. سيدنا عمر كان يمشي في الطريق رأى غلاماً، لما رآه وكان صاحب هيبة شديدة تفرقوا، إلا واحداً منهم بقي واقفاً بأدب، فلما وصل إليه قال: "يا غلام لما لم تهرب مع من هرب؟ قال: أيها الأمير لست ظالماً فأخشى ظلمك، ولست مذنباً فأخشى عقابك، والطريق يسعني ويسعك"، طبعاً بقي ثابتاً، ما غيَّر، وما هرب، ولما سُئِلَ أجاب، وقد جمع بين الثبات والأدب، لكن هناك ثبات مع وقاحة، و أدب مع خوف.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾

ما زاغ من خوفه ولا تجاوز الحد من أدبه، هنا الآن في أعلى مقام، فليس من مقام وصله نبيُّ كما وصل نبينا الكريم هذا المقام، لذلك قال:

((سلوا لي الوسيلة))

(أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص)

نحن إذا سمعنا الأذان، فالمسلمون بعد الأذان يقولون، ونحن قبل الصلاة نقول:

((اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً (صلى الله عليه وسلم) الوسيلة

والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه اللهم مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم

((القيامة))

(أخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله)

هذا الدعاء أساسه أن النبي الكريم قال:

((سلوا لي الوسيلة (اطلبوها لي) فإنها مقام لا ينبغي إلا لواحدٍ من خلقه، وأرجو أن أكون أنا ((

لذلك:

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾

قيل: إن الله سبحانه وتعالى أطلعه على كل شيء، حتى على نهاية العالم، حتى على أهل الجنة وأهل النار، فالذي نؤمن به نحن بالخبر الصادق فقد رآه النبي رأياً العين، لذلك فالنبي وحده إذا حدثنا عن اليوم الآخر، وعن نعيم أهل الجنة، وعن عذاب أهل النار، وحده، حديثه عن رؤية وشهود لا عن تصديق وإقرار، نحن نؤمن بالجنة والنار والصراف المستقيم، والسؤال، والحساب، والعذاب، والثواب، والعقاب، نؤمن به مصدقين لأن هذا ورد في كتاب الله الكريم، أما النبي.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾

أطلعه الله على ما كان وعلى ما يكون وعلى ما سيكون، لذلك أحاديث النبي عن آخر الزمان وعن قيام الساعة، وعن علاماتها الصغرى والكبرى من هذا القبيل، مثلاً حديث النبي:

((رأيت عامة أهل النار من النساء))

(ورد في الأثر)

النبي رأى رأي العين من يعذب في النار، رأى المرابين، رأى الزناة، رأى المنحرفين، رأى آكلي أموال الناس بالباطل، رأى آكلي أموال اليتامى، كل هذا رآه رأي العين، أي أنه رأى ملكوت السماوات والأرض.

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة الأنعام: آية " ٧٥ ")

رأى ملكوت السماوات والأرض في أعلى درجة.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾

فالإنسان على قدر استقامته، وعلى قدر إخلاصه، وعلى قدر معرفته ينال من هذا العطاء الذي لا يتناهى، والشقي كل الشقي هو الذي غابت عنه هذه الحقائق وعاش في أحوالٍ مادية، لذلك من الأدعية المأثورة:

((اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، أخرجنا من وحول الشهوات إلى

جَنَّاتِ الْفُرَاتِ))

الثمار اليانعة التي يقطفها المسلم من الإقبال على الله:

أحياناً يكون البيتُ قطعةً من الجنة، فيه صلاة، وذكر، وتلاوة قرآن، ودعوة إلى الله، وسهرة اجتمعوا فيها عليه وتفرقوا عليه، بذل الطعام للفقراء خدمة لعباد الله، جو مقدس، وقد تجد بيتاً فيه قنوات لا يعلمها إلا الله، يقول لك: عندي ثمان وسبعون قناة، يتباهى بها، فهذا بيت آخر، أهله في الوحول غارقون، لأن الشيء استشرى وكبر جداً، وغدت حالات الطلاق كثيرة من وراء هذه الأجهزة، حالات انحراف مادي خطير، حالات انحلال، فالمؤمن يعيش في جنات القربات، يطلب من الله أن ينجيه من وحو الشهوات إلى جنّات القربات.

على كلِّ في الدرس القادم إن شاء الله تعالى نتابع هذه الآيات ورغبتني الملحة أن أضع أمامكم كل التفسيرات، فملخصها ؛ إن فسرت:

﴿عَلَّمَهُ﴾

الله جلّ جلاله فالآيات تأخذ منحى معيّناً، وإن فسرت:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدَ الْقُوَى﴾

هو جبريل تأخذ الآيات منحى آخر، على كلِّ هذه الآيات بتفسيرها تشير إلى مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى شدة قربه من الله، وإلى الثمار اليانعة التي قطفها حينما تعرف إلى الله وأقبل عليه.

والحمد لله رب العالمين